Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكما هو حال كثير من الناس أنكر المشركون من أهل مكة فضل الله عليهم ونعمه، وعبدوا أوثانًا ورفضوا الدخول فى الدين الحق، وقالوا لرسول الله ﷺ قولاً عجيبا سجله الله عليهم فى قوله تعالى فى سورة القصص: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

إنها النظرة السطحية القريبة والقصور الأرضى المحدود هو الذى أوحى لقريش أن اتباع هدى الله يعرضهم لغضب الناس ويعود عليهم بالفقر والبوار. مع العلم أنهم لا ينكرون أنه الهدى والدليل قولهم: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ فهم يعلمون أنه هدى، ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس، ويقال: إن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف هو الذى قال: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾[1]. ويرد الله عليهم بما يُكذب هذا العذر الموهوم فيقول تعالى: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ فالله هو الذى جعل لهم الأمن وجعل لهم البيت الحرام، وهو الذى جعل القلوب تهفو إليهم تحمل الثمرات من مختلف بقاع الأرض[2].

ولابد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات. وفى ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة].

وفى الآية الكريمة اخبار من الله بأنه سيبتلى عباده بشىء من الخوف من الأعداء والجوع ومعنى ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ﴾ أى بشىء يسير منها؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله أو الجوع كله لهلكوا. وفسر العلماء قوله تعالى: ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ فقالوا: أى لا تثمر الحدائق والمزارع كعادتها. وقال بعض السلف الصالح: كانت بعض النخيل لا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص٣٧٠. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثالث ص٢٢٥. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص٣٠. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص١٩٦. تفسير الفخر الرازى للرازى الجزء التاسع عشر ص١٤٢.

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٧٠٣ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثالث عشر ص ١٩٨.